ولكنهم نظروا فوجدوا صيغة اخرى لاتكاد تتحدد بزمن بعينه ، كما انها لاتلزم صورة بعينها فهى صورة مرنة متحركة ، لم يستطيعوا ان يلزموها الحال لانها لا تختص به وحده ولم يستطيعوا ان يلزموها المستقبل لانها لاتختص به وحده ، كما وجدوا لها طابعا غريبا على طبيعة الفعل كما عرفوا صورته فى الماضى ونظروا فوجدوا أن هذه الصيغة اشبه بالاسم منها بالفعل فاشتقوا لها من هذه المشابهة اسماء فسموها المضارع وقالوا « المضارع يشترك فيه الحاضر والمستقبل وسمى مضارعا لانه مضارع الاسماء بدخول السين وسوف للاستقبال (2) ولذلك قبل الاعراب كالاسماء ، وقالوا انه يشبه الاسم من جهات :

اولا انه يصلح لزمانى الحال والاستقبال وهو مبهم فيهما نحو قولك زيد سيقوم وسوف يقوم فيصير مستقبلا لا غير بدخول السين وسوف.

ثانيا انه يقع فى مواقع الاسماء ويؤدى معانيها نحو قولك زيد يضرب كما تقول زيد ضارب وتقول فى الصفة هذا رجل يضرب ، كما تقول هذا رجل ضارب فقد وقع الفعل هنا موقع الاسم والمعنى فيهما واحد .

ثالثا انه تدخل عليه لام التأكيد التى هى فى الاصل للاسم (3) ولذلك فهو يعرب اعراب الاسماء بالرفع والنصب والجزم ما عدا الجر لانه يتعلق بمقاصد خاصة بالاسم ولم يقل لنا النحويون لم ضارع المضارع الاسم ، (4) كما لم يقولوا لنا لماذا لم توضع صيغ ثابتة لكل من زمانى الحال والاستقبال كما وضعت صيغ ثابتة للماضى ؟

اننا لا يمكن أن نرد عدم تحديد صيغ خاصة للازمنة كما لا يمكن أن نرد مرونة صيغة المضارع ومشابهته للاسم الى عجز العرب عن تحديد الابعاد الزمنية . لأن صيغة المضارع كما سبق أن بينا فى الحديث عن تطور اللغة العربية اسبق من صيغة الماضى فى اللغات السامية ، وانه لابد ان يكون قد انقضى وقت طويل على صيغة المضارع قبل ان تعرف الى جوارها صيغة الماضى فلابد من البحث عن سبب آخر لظهور هذه الصيغة التى هى بالاسماء اشبه منها بالافعال .

وقد نستطيع ان نتوصل الى اجابة على هذا التساؤل اذا تحدد لدينا وجه التشابه بين الاسم وصيغة المضارع ، ولقد تكلم النحويون عن أوجه الشبه بين الاسم وصيغة المضارع لكنهم فى الحقيقة حدثونا عن أوجه التشابه لاعن علته ، لقد تحدثوا عن مشابهة المضارع للاسم فى وقوعه موقعه ، وفى دخول ادوات الاسم عليه ، والحتوا المضارع بالاسم فى اعرابه لهذا السبب ، وحاول ابن يعيش ان يرجع علاقة المضارع بالاسم الى كونها علاقة خاصة بالاسم نفسه لا بالزوائد المشتركة فقال : « والمراد انه ضارع الاسماء اى شابهها بمافى أوله من الزوائد الاربع وهى الهمزة والنون والتاء والياء نحو اقوم ونقوم وتقوم ويقوم فاعرب لذلك وليست الزوائد هى التى اوجبت له الاعراب ، وانما لما دخلت عليه جعلته على صيغة صاربها مشابها للاسم والمشابهة اوجبت له الاعراب » (5) ولكن لماذا قبل المضارع هذه الزوائد حتى اشبه بها الاسم ؟.

لقد عتدوا وجها آخر للشبه لعله من الممكن ان يقودنا الى شىء وهو قولهم : ان المضارع يصلح لزمانى الحال والاستقبال وهو مبهم فيهما ، ان هذا القول يمكن ان يقودنا الى شىء وهو ان هناك قدرا مشتركا من قيام نوع التعلق (مبهما) هو الذى قاد الى الشبه ، فالاسم لا ينتهى تعلقه بمسماه ، وانما يستمر متعلقا فى نفس الوقت بوحدات كثيرة من نوع واحد ، فمحمد اسم يحتوى على وحدات كثيرة لاحصر لها كل منها اسمها محمد وتحديده بشخص معين يحتاج الى قرائن ،

---

2) شرح المفصل لابن يعيش ج 7 ص 6

3) نفس المصدر والصفحة

4) نفس المصدر ج 1 ص 10 ، 11 .

5) شرح المفصل ج 7 ص 6

والمضارع لاينتهي تعلقه بالفعل عند حد الحال فقط ، وانما يتعداه الى الاستقبال ، كما أن تحديده بزمن معين يحتاج الى قرائن .

لقد عرف النحويون الاسم بأنه مادل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان (6) ثم نظروا الى تقسيمه من ناحية كونه جامدا ، اومشتقا ، مجردا او مزيدا،مذكرا او مؤنثا منقوصا او مقصورا او ممدودا اوصحيحا ، مفردا اومثنى ، او مجموعا .

وعرفوا الفعل بانه مادل على معنى واقترن بزمن (7) ثم قسموه الى ماض ومضارع وامر والى صحيح ومعتل ، والى مجرد ومزيد والى جامد ومتصرف ، والى متعد ولازم ومن حيث بنائه للفاعل والمفعول ومن حيث كونه مؤكدا او غير مؤكد .

فكأنهم بذلك قد جردوا الاسم من الزمن تجريدا تاما ، فوقعوا بذلك في كثير من المشاكل منها هذه المشكلة التي نعالجها وهي مشكلة المضارع . فهل يتجرد الاسم حتا من الزمن الى هذا الحد ؟ انهم يذهبون في تقسيماتهم الى خلاف ذلك فهم متفقون مثلا على ان المصدر اسم لافعل ، ومع ذلك ذهب الكوفيون الى أن في المصدر اصلا للفعل ودليلهم على ذلك ان المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين فكما ان المطلق اصل المقيد ، فكذلك المصدر اصل للفعل « (8) فتراهم هنا لم يكتفوا بأن يجعلوا للاسم علاقة بالزمان وانما جعلوه اكثر صلة بالزمان من الفعل لان المصدر مطلق والفعل مقيد .

وهم يذهبون مثلا الى ان بعض الاسماء يجري مجرى الفعل ويقوم مقامه، ومن ذلك اسم الفاعل. يقول سيبويه « هذا باب اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول وفي المعنى فاذا اردت فيه من المعنى ما اردت في يفعل كان منونا نكرة :

وذلك في قولك هذا ضارب زيدا غدا فمعناه وعمله هذا يضرب زيدا غدا واذا حدث عن فعل فحين وقوعه غير منقطع كان كذلك وذلك قولك هذا ضارب عبد الله الساعة فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيدا الساعة وكان زيد ضاربا اباك فانما يحدث ايضا عن اتصال فعل في حين وقوعه وكان موافقا زيدا فمعناه وعمله كقولك كان يضرب اباك ويوافق زيدا فهذا اجرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى منونا » (9).

ومن ذلك ايضا الفاعل الذي بمنزلة الذي يفعل. يقول سيبويه « هذا باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي في المعنى وما يعمل فيه » وذلك قولك هذا الضارب زيدا فصار في معنى هذا الذي ضرب زيدا وعمل عمله (10).

ومن ذلك المصادر التي تعمل عمل المضارع يقول سيبويه (هذا باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه) وذلك قولك عجبت من ضرب زيد فمعناه يضرب زيدا (11) .

نخرج من هذا الى أن الاسم ليس مجردا من الزمن او معزولا عنه ، وانه هو المشترك مع الفعل فيه بصورة او باخرى وهذا وجه هام من العلاقة بين الاثنين ، على ان هذه الرابطة تقودنا الى مسألة بالغة الاهمية بالنسبة لموضوعنا وهي ان الذي يشترك فيه الاسم والفعل هو الزمن المستمر وهذا يضع ايدينا على مفتاح العلاقة التي ربطت بين الاسم وبين الفعل المضارع ، وقد نبه سيبويه على هذه العلاقة بطريقة عكسية في حديثه عن اسم الفاعل في قوله فانما يحدث ايضا عن اتصال فعل في حين وقوعه وحتى حين يشبه الاسم الفعل في حالة الماضي فانه يشبهه من هذا الوجه وذلك في حالة الفاعل الذي بمنزلة فعل ، فقولنا هذا الضارب زيدا بمعنى هذا الذي ضرب زيدا ، انما ينظر فيه هنا الى استمرار هذه الصفة من الفعل اللاصقة بزيد فهو الذي ضرب زيدا ، وهو الذي ما يزال ضربه زيدا حقيقة قائمة ومستمرة ، ولاجل ذلك يجوز ان يعامل هذا الاسم الدال على الفعل الماضي معاملة الاسم الذي جرى مجرى الفعل المضارع وذلك قولك هما الضاربا زيد والضاربو عمرو (12) وذلك من ناحية كف النون. لقد لاحظ العرب اذن وجود علاقة زمنية قوية تربط بين الصيغة التي تضارع الاسم وتدل على الزمن في الحال والاستقبال وبين الاسم ، وهذه العلاقة هي علاقة

---

6) شرح ابن عقيل ج 1 ص 4
7) شرح ابن عقيل ج 1 ص 4
8) الانصاف للانباري ص145
9) سيبويه ج 1 ص 82 .
10) سيبويه ج 1 ص 93
11) سيبويه ج 1 ص 97
12) سيبويه ج 1 ص 94